

## أسلوب الكناية ودلالاته الثقافية

## في القرآن الكريم

أ.م. د. أحمد جاسم مسلم

جامعة القاسم الخضراء / كلية التقانات الإحيائية

Metonymy Style and its Connotations  
in the Holy Qur'an

Assistant Professor. Dr. Ahmed Jassim Muslim

[Ahmed.jjjj@yahoo.com](mailto:Ahmed.jjjj@yahoo.com)

## Abstract

The current research Interested as well as tagged with ( metonymy style and its connotations in the Holy Qur'an) by studying the metonymy in the Holy Qur'an and clarifying the cultural connotation as an implicit predicate that can be revealed in the light of the analysis of the metonymy in its different contexts. The research focused on several axes, starting by talking about the concept of the metonymy style, then the concept of culture, then he clarified four cultural connotations, and explained them in the light of mentioning examples of them from the Holy Qur'an, analyzing and elaborating them religious.

**Keywords:** (metonymy, significance, culture, the Noble Qur'an).

## الملخص

اهتم هذا البحث الموسوم بـ ( أسلوب الكناية ودلالاته الثقافية في القرآن الكريم) بدراسة الكناية في القرآن الكريم وبيان الدلالة الثقافية بوصفها محمولاً ضمنياً يمكن الكشف عنه في ضوء تحليل الكناية في سياقاتها المختلفة، فاستعمل الكنايات في القرآن الكريم له مقاصد كثيرة، من ذلك أنها تحاول أن تشبع ثقافة ممدوحة في الإسلام أو تنهى عن ثقافة مذمومة في الإسلام، وكان البحث على عدّة محاور، ابتداءً بالحديث عن مفهوم أسلوب الكناية، ثم مفهوم الثقافة، بعدها أوضح أربع دلالات ثقافية، وبيّنها في ضوء ذكر نماذج عليها من القرآن الكريم وتحليلها وتفسيرها، وهذه الدلالات هي: الدلالة الاجتماعية، ودلالة ما يستقبح ذكره، والدلالة الجمالية، والدلالة الدينية.

**الكلمات المفتاحية:** ( الكناية، الدلالة، الثقافة، القرآن الكريم).

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد النبي الصادق الأمين وعلى آله أئمة الهدى الطيبين الطاهرين.

وبعد....

حاول هذا البحث أن يتلمس الدلالات الثقافية في القرآن الكريم في أسلوب بلاغي وبياني رفيع، هو أسلوب الكناية، ولا يخفى أن الأساليب واستعمالها في القرآن الكريم تكمن خلفه دوافع كثيرة أهمها الإبلاغ وإيصال المعنى المقصود، وبما أن القرآن الكريم سعى إلى التغيير في بنية المجتمع الفكرية بمختلف تنوعها، إذًا هناك فعل ثقافي وراء استعمال كل أسلوب فيه، فالقرآن الكريم هو بنية دلالية وفكرية متلاحمة قبل أن يكون بنية لغوية، وسبب تسليط الضوء على الكناية في هذا البحث، لأن علاقتها حالية سياقية، وتتم معرفتها من خلال الكشف عن السياق المعرفي الذي دعا إلى إنتاجها.

والحديث عن الدلالة الثقافية للكناية في القرآن الكريم أمر في غاية الأهمية، وهو يُسهم في بيان الأنماط الثقافية التي يبريد الإسلام شيوعها في المجتمع الإسلامي، وأيضاً يُشخص الأنماط الثقافية التي يبريد الإسلام لها أن تندثر ولا تشيع في المجتمع.

وبدأت البحث بالحديث عن أسلوب الكناية وإشارات العلماء إليه في تصنيفاتهم البلاغية، ثم تحدّثت عن الثقافة وأهميتها في ديمومة القيم المعرفية في المجتمع، بعد ذلك تحدّثت عن الدلالات الثقافية لأسلوب الكناية في القرآن الكريم، وفصلت الحديث عن أربع دلالات، وهي: الدلالة الاجتماعية، ودلالة ما يستقبح ذكره، والدلالة الجمالية، والدلالة الدينية، وأوضحت هذه الدلالات من خلال دراسة أمثلة عليها من القرآن الكريم.

فالة أحمدُ حمداً كثيراً وشكراً متواصلاً غير منقطع، فمنه أستمدّ القوّة والتوفيق، فإن كان البحث قد رسا على شاطئ الصواب فهو من تسديد الله، وإن كثرت زلاته وعثراته فهو من نفسي وتقصيري، والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخراً.

الباحث

### أسلوب الكناية

تعدّ الكناية أسلوباً بلاغياً على درجة كبيرة من الأهمية في إبلاغ مقاصد الكلام بشكلٍ غير مباشر، وهي أسلوب بياني يستخدم للتكنية عن المعاني التي لا يبريد المتكلم أن ينطق بها مباشرة لأسباب عدّة، منها: اعتناءً بالمعنى المكثى عنه، أو أن المعنى يخدش السمع فيختار له ألفاظاً تعبر عنه لانتقة بالمقام، أو لبيان المبالغة في المعنى ليكون تأثيره أكبر على المتلقّي، وغيرها من الأغراض المهمة التي تتصل بالكلام وسياقاته وعقائده وتقاليد المتكلم والسامع معاً.

وقد اهتمّ البلاغيون والنقاد مُبكرًا بالكناية وتحدّثوا عنها في مصنّفاتهم وحاولوا أن يضعوا لها حدًّا وأن يكشفوا عن أغراضها والإشارة إلى أهميتها، وقد سعى عبد القاهر الجرجاني إلى تفسير المقولة (إن الكناية أبلغ من التصريح)، قائلاً: ليس ((أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأشدّ، فليست المزية في قولهم: جُمّ الرماد، أنه دلّ على قرى أكثر بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأوجبته إيجاباً هو أشدّ))<sup>١</sup>، على وفق رأيه فإن الكناية تفيد إثبات الشيء للمكثى عنه بشكل أبلغ وأشدّ وكأن المعنى يكون ملازماً للمكثى عنه في جميع حالاته، فالكناية تستحضر شاهدها معها لإثبات المعنى كما في المثال السابق، ف ((إنك إذا كنيت عن كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت أثبت كثرة القرى بإثبات شاهدها ودليلها، وما هو علم على وجودها، وذلك لا محالة يكون أبلغ من إثباتها بنفسها، وذلك لأنه يكون سبيلها حينئذ سبيل الدعوى تكون مع الشاهد))<sup>٢</sup>، وهذا دليل على أن الكناية تتجه للأثار الملازمة للصفة المكثى عنها ليكون ذلك أثبت في البيان وأبلغ في إرسال القصد، ممّا يدعو إلى تأمل هذه الآثار سواء أكانت ماديّة أو معنويّة، لأنها تكشف عن البنية الشعبية للمجتمع الذي أنتج هذه الكناية، وفي ضوءها يمكن رصد العادات والتقاليد في حدود الممارسات الثقافية الذي اعتاد عليها مجتمع ما.

وقد حدّد السكاكي الكناية في قوله: ((هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك))<sup>٣</sup>، وذكر أمثلة عليها وردت في التراث الأدبي العربي، منها قوله: ((فلانة نؤوم الضحى، لينتقل منه إلى ما هو

<sup>١</sup> - دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي، علّق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ٦٣.

<sup>٢</sup> - دلائل الإعجاز: ٢٨٥.

<sup>٣</sup> - مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٥١٢.

ملزومه، وهو كونها مخدومة، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه، وتحصيل ما تحتاج إليه في تهيئة المتاولات وتدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نساءهم إلا من تكون لها خدم ينيبون عنها في السعي لذلك<sup>١</sup>، أبرز السكاكي في ضوء تفسيره للكناية السابقة عن ملمح ثقافي اجتماعي اعتادت عليه نساء العرب من السعي ضحى في قضاء حوائج المنزل، ويكاد يكون هذا النشاط عاماً لكل نساء العرب إلا من كانت منهنّ مخدومة في بيتها متعمّنة في حياتها، لذلك أصبح صفة مدح للنساء المترفات.

وحدها الزركشي بقوله: ((والكناية عن الشيء الدلالة عليه من غير تصريح باسمه))<sup>٢</sup>، وعدم التصريح باسمه يكون لأغراض عدّة تفهم من سياق الكلام حسب ما يقصد إليه مرسله، وبيان هذه الأغراض للكنائيات يفسر لنا السبب في عدم ذكر اسمها الصريح الدال عليها، ويكشف لنا أيضاً عن المنظومة الثقافية التي كانت وراء هذه الكنائيات وسبب استعمالها. ثم يتوسّع الزركشي في بيان مفهوم الكناية ويذكرها أغراضها مع ذكر أمثلة عليها، يقول: ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، فيدلّ على المراد من طريق أولى))<sup>٣</sup>.

وذكر أمثلة كثيرة على الكناية وأسهب في ذكر أغراضها المختلفة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَلْتِي أَحْصَنْتُ فَرْجَهَا﴾ (الأنبياء: ٩١)، فقد رأى أنها من لطيف الكنائيات وأحسنها، وهي كناية عن فرج القميص، وقد أخطأ من توهم هنا من الفرج الحقيقي، والمقصود أنه لم يعلق ثوبها ربية، فهي طاهرة الأثواب، فإن القرآن أنزه معنى، وألطف إشارة وألمح عبارة، وأبعد عما توهم الجاهل<sup>٤</sup>.

فالكناية من الأساليب البليغة التي أسهب العلماء في الحديث عنها وذكر أغراضها المختلفة، وبيان ذلك في ضوء أمثلة من القرآن الكريم والشعر العربي، وهي تتصل مباشرة بالذوق العام للمجتمع وتكشف عن طبيعة ثقافته في اختياراته اللغوية للكنية عن المعاني الرفيعة أو المستبح ذكراها، وهي تدلّ على التمكن من تطويع اللغة وتكييف أساليبها لتتناسب مع القيم الثقافية السائدة في المجتمع.

فبنية الكناية تتضمن ملامح الثقافة وهي من أبرز الأساليب البلاغية التي تضمّن نسقاً معرفياً مرتبطاً بعادات وتقاليد الناس، وتعبّر عن رغباته في إضمار المعاني التي يريد التعبير عنها بغير ألفاظها الموضوعية لها في اللغة، لأسباب عدّة أهمّها الإعراض عن ذكر الألفاظ التي تخدش الحياء، وبهذا تكون الكناية من أبلغ الأساليب وأفصحها وأهدبها، فهي تشمل على الفصاحة اللفظية والفصاحة المعنوية، وفيها إثارة للعقل واللغة، وتعدّ بديلاً أسلوبياً مناسباً للتعبير عما لا يمكن التعبير عنه بصورة مباشرة.

١ - مفتاح العلوم: ٥١٢.

٢ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ٣٩٨ / ٢.

٣ - البرهان في علوم القرآن: ٣٩٨ / ٢.

٤ - ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٠١ / ٢.

## الثقافة

إن أهمّ عنصرين أو أشمل عنصرين قد يتمثلان في قدرة البشر على التشييد والبناء، وقدرتهم على استعمال اللغة، منظوراً إليها بصورة أشدّ اتساعاً من مدلولها الحرفي، لتتسع لجميع أشكال نسق العلامة<sup>١</sup>، فاللغة على وفق الكلام السابق من أبرز مظاهر الثقافة، واللغة وكيفية استعمالها من قبل المجتمع له أهميته في الكشف عن الأنماط الثقافية السائدة في هذا المجتمع، ولا ينظر إلى اللغة بوصفها أداة للتواصل فقط، إنما هي نسق ثقافي محمّل بكل عادات وتقاليد المجموعة اللغوية، ومن هذا المنظار يمكن أن تكون اللغة هي المعادل الثقافي لمجموعة ما، وتعيد صنع الثقافة وتصديرها من جيل إلى آخر.

وتعرّف الثقافة بأنها ((ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاقيات والقوانين والأعراف والقدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة، بوصفه عضواً في المجتمع))<sup>٢</sup>، ولا شك في أن اللغة لحيويتها هي المظهر الأهم للثقافة، وهي المعيرة عن الثقافة وعن كلّ ما تشتمل عليه من أنساق ثقافية، لذلك فهي علامة ثقافية ودليل على وجود فعل ثقافي في مجتمع ما، ومن هنا بالذات يمكن رصد الثقافة في اللغة والأساليب، والأسلوب واستعماله يشير إلى أثر ثقافي امتازت به فئة لغوية معينة.

فالثقافة وسيلة فعّالة، فهي أكثر من غيرها قدرة على تثبيت التصوّرات والقيم والرؤى، وترسيخ المرجعيات الفكرية وتمريرها عن طريق اللغة، وأيضاً قدرتها على اختراق الحواجز واجتياز الموانع، وقادرة على توظيف وسائل الاتصال الحديثة<sup>٣</sup>، فالثقافة تتسم بالمرونة لتعيد تشكيل نفسها وعبرها الحدود المكانية والزمانية، وقدرتها أيضاً على تطويع النظام اللغوي ليكون مظهراً من مظاهرها.

فما هي ((طبيعة العلاقة بين النظام اللغوي والنظام الثقافي الذي سمح بوجود هذا النظام اللغوي، ولم يسمح بذلك لغيره من الأنظمة الأخرى، بالإضافة إلى إبراز أهمية التواصل بين المعارف داخل الخطابات، بوصفه عملية معرفية، يمكن من خلالها إدراك معانٍ مختلفة للظواهر اللسانية داخل الخطابات))<sup>٤</sup>، هذا يؤكّد أن هناك علاقة وثيقة بين الثقافة والنظام اللغوي، بحيث يمكن من خلال النصوص المدوّنة استخلاص الثقافة لمجتمع ما.

والقرآن الكريم نزل من الله تعالى، ولغته هي اللغة العربية، ونظامه اللغوي هو نظام اللغة في العربية، وقد رافق الأحداث الإسلامية طيلة نزوله، وعلى الرغم من أنه معجز ولم يستطع أحد أن يأتي بمثله إلا أن أساليبه المستعملة فيه تنتمي لأساليب التعبير في اللغة العربية، فالفرق كان في دقّة التعبير وبلاغته وفصاحته وأيضاً مرجعياته الفكرية والفقهية والثقافية، وكان الخطاب القرآني ممثلاً للغة العربية وقدرتها على استيعاب المعنى الإلهي بهذه الصورة المعجزة.

<sup>١</sup> - ينظر: موسوعة النظرية الثقافية... المفاهيم والمصطلحات الأساسية، أندرو إيدجار وبيتر سيدجويك، ترجمة: هناء الجواهري، مراجعة وتقديم وتعليق: محمد الجواهري، ط١، ٢٠٠٩م: ١٨٤.

<sup>٢</sup> - الدراسات الثقافية، زيودين ساردار وبورين فان لون، ترجمة: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م: ٨.

<sup>٣</sup> - ينظر: حوار الثقافة والقيم، عبد الله إبراهيم، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد/ ٥، العدد السابع عشر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ١٢٥.

<sup>٤</sup> - لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار لعربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ١٩.

لذلك فدراسة أحد أساليبه وبيان دلالاته الثقافية - وأقصد به أسلوب الكناية - يكون على درجة كبيرة من الأهمية، فيكشف لنا ذلك عن طبيعة السلوك الثقافي الذي يأمر به الله تعالى، وأيضاً يكشف نوعاً ما عن الحياة الثقافية للمجتمع الإسلامي في تلك الفترة.

### أسلوب الكناية ودلالاته الثقافية في القرآن الكريم الدلالة الاجتماعية

تتحقق الكناية بالانتقال من المعنى الذي يعكسه الملفوظ حرفياً إلى ملزومه، وهذا المعنى يُفهم عن طريق لازم من لوازم الكناية، لذا فهي أقرب الصور البيانية التصاقاً بالسياق الاجتماعي الثقافي، ويحتاج تأويلها إلى معرفة بعادات وتقاليد وثقافة البيئة التي أنتجتها، فالمرجعيات الثقافية مهمة للمتلقي لكي يكون قادراً على تفسير الكناية، ((فالتأويل المستند إلى الخلفيات الثقافية والاجتماعية للخطاب وأطرافه هو في حق الكناية أوجب منه في غيرها، ذلك أن العبارة الحرفية في الكناية قابلة للتحقق الفعلي، إلا أنها ليست مقصودة في ذاتها، ولكن يُراد من المتلقي أن ينتقل منها إلى ما هو أهم وأولى وأحق)).<sup>١</sup>

وبسبب ارتباط أغلب الكنايات بالسياق الاجتماعي، لذا دعا بعض الباحثين إلى دراستها على وفق القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في زمنها، بمعنى أن تدرس دلالاتها على معايير اجتماعية في فترة ما، وهذا سيكون أجدى من محاولة البحث عن جماليات لا تتسق مع التطور الزمني والحضاري<sup>٢</sup>، وهذا الكلام ممكن أن يصدق على الكنايات الملتصقة بالحياة الاجتماعية المتغيرة من زمن إلى آخر، مثل (نؤوم الضحى) التي كانت تدلّ على الترف والرفاهة، أما في زماننا فإنها تدلّ على الكسل وعدم المسؤولية، وأيضاً كناية (كثير الرماد)، فإنها كانت تدلّ على الكرم، فالمراد بها أنه كثير الطبخ لكثرة ضيوفه فيكثر الرماد الناتج عن الطبخ، أما الآن فهذه الكناية لا تدلّ هذه الدلالة بسبب أن الطبخ يتم بوسائل حديثة لا تترك رماداً.

لكن الكنايات الواردة في القرآن الكريم تختلف، فهي صالحة في كل زمانٍ ومكان، بسبب ارتباطها بلوازم ثابتة وعقلانية لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وتنتمي لثقافة تنتمي للمنظومة الثقافية الإسلامية، ومن هذا الجانب تكون الكنايات في القرآن الكريم مُعجزة كما القرآن عموماً.

على وفق ما مرّ، يمكن تفسير البعد الاجتماعي للكناية في القرآن الكريم، وتأويلها بما يتوافق مع السياق الاجتماعي المؤثر في اجتراح السياقات اللغوية المناسبة له.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

في الآية الكريمة أمر باجتنب الظنّ ونهي عن التجسس وعن الاغتياب، ولزيادة التنفير والتحذير من الغيبة كنى الله تعالى عنها في قوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، وقد جسّد سبحانه الأفعال المعنوية ليكون النهي بالغ الأثر لأجل إصلاح المجتمع الإسلامي وتنزيهه من هذه الصفات التي إن انتشرت بين أفرادها فإنها ستضعفه وتؤهن تماسكه، وكنى سبحانه عن الغيبة بأكل لحم الأخ ميتاً، وهي صورة كريهة مقرّزة من أجل بيان سوء هذا الفعل للحذر منه والابتعاد

<sup>١</sup> - اجتماعية الكناية بين التخييل والتأويل، د. مسعود بودوخة، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني حول اللسانيات والرواية، ٢٠١٢م: ٢٠٧.

<sup>٢</sup> - فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأ المعارف الاسكندرية، مصر، ط١، ١٩٨٨: ٤٤٠.

عنه لما له من أثر في هذ كيان المجتمع الإسلامي، فالغيبية ((تفسد أجزاء المجتمع واحداً بعد واحد فتسقطها عن صلاحية التأثير الصالح المرجو من الاجتماع، وهو أن يخالط كلَّ صاحبه ويمارجه في أمن وسلامة بأن يعرفه عدلاً سويّاً يأنس به ولا يكرهه ولا يستقدره، وأما إذا عرفه بما يكرهه ويعيبه به انقطع عنه بمقدار ذلك وضعفت رابطة الاجتماع، فهي كالأكلة التي تأكل جثمان من ابتلي بها عضواً بعد عضو حتى تنتهي إلى بطلان الحياة))<sup>١</sup>.

فالكناية جاءت في سياق النهي عن صفة ذميمة، فالغيبية فعل اجتماعي ثقافي سلبي ولا يخلو مجتمع منها، تؤدّي إلى التفتيق من الآخر ليفقد هويته الاجتماعية وبذا يقلّ تأثيره في المجتمع ويتقلّص فعله الايجابي، لذلك أكد القرآن على اجتنابها وتخليص المجتمع من آثارها، فالكناية لها دلالة اجتماعية تشير إلى سلوك مذموم بالتفتيق والتحذير منه.

قال تعالى: ﴿أَوْمَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف: ١٨).

فالله سبحانه ((كئى عن النساء بأنهن يُنشأن في الترفه والتزيّن والتشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك، والمراد نفي ذلك - أعني الأبوثة - عن الملائكة، وكونهم بنات الله، تعالى الله عن ذلك))<sup>٢</sup>، الآية في مقام الحجاج مع المشركين الذين قالوا أن الملائكة بنات الله، والحجاج بالكناية كان أطف في الردّ عليهم وألزم للحجة، لأنها أكدت ملمحاً اجتماعياً مهماً، خاصة في المجتمع العربي، وأشارت لسمتين من سمات النساء، وهما ميل النساء للتزيّن لعاطفتها وغلبتها على عقلها، وأنهنّ بعيدات عن الحروب التي تحتاج القوة والقسوة، لذلك لا تجدهنّ حاضرات في الخصام، وهذا وصف دقيق لمكانة المرأة الاجتماعية بحسب ما ركوز في فطرتها، وبحسب الوظيفة الاجتماعية التي أهلها لها الله سبحانه، فالكناية عن المرأة بهاتين السمتين له دلالة اجتماعية لبيان وظيفتها الاجتماعية أولاً، وإنها امتازت عن الرجال بالعاطفة والميل إلى الحياة العاطفية والتزيّن والعودة عن شؤون الحرب.

وفي الكناية دلالة اجتماعية أخرى، تصوّر قصور عقل المشركين الذين جعلوا لله شركاء بسبب جهلهم، وجعلوا الملائكة بنات الله، وهذا القصور أخرجهم من الأيمان، فتوحيد الله تعالى وتزيّنه من الشركاء قيمة إسلامية يقوم عليها الدين، أما الشرك فهو عقيدة خارجة عن قوانين الدين وما أمرت به السماء، وهو عادة اجتماعية توارثتها المجتمعات على اختلاف شؤونها، ومصدرها الجهل لا المعرفة، فمن خلالها نستطيع أن نتصوّر حالة المجتمع الذي يصرّ على أن يكون لله شريكاً يعبد من دونه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً وَلَا تَنْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩).

كلمة يدك في الآية الكريمة ((ليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة، وإنما الكلام الأول كناية عن التفتيق، والكلام الآخر كناية عن التفتيق وكلاهما مذموم))<sup>٣</sup>، والآية الكريمة من خلال الكناية تشير إلى نظام اجتماعي مهم يتصل بالإنفاق، فالبخل مذموم والإسراف مذموم أيضاً، لأن كلاهما يمثل حالة تطرّف تُخلّ بالنظام الاجتماعي، فالبخل يمنع الإنسان من الإنفاق على نفسه أو على أهله وبذلك يحرم نفسه من التمتع بما رزقه الله تعالى، فيسعى إلى كنز الأموال ممّا يخرجها عن وظيفتها بوصفها أداة تُسهّل له العيش براحة وسعة، أما الإسراف فإنه مذموم أيضاً، وهو طريق للافتقار،

١ - الميزان في تفسير القرآن: الطبطباي، السيد محمد حسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م: ١٨/٣٢٣-٣٢٤.

٢ - البرهان في علوم القرآن: ٤٠٢. وينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ٣٧٩.

٣ - تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ٢٠٠.

وأيضاً يؤدي إلى الإخلال بالنظام الاجتماعي، مما يؤدي إلى الندم والحسرة في النهاية، فالآية الكريمة أشارت إلى سلوك اجتماعي اقتصادي مهم، يرتبط بثقافة الإنسان وقدرته على السير بطريق وسط بين التقدير والتبذير، فإله تعالى رزق الإنسان على قدر وعليه أن يصيب بالإنفاق بشكل متوازن، وأن يبتعد عن الحرص الشديد أو الإنفاق غير الرشيد على وفق ما يتطلبه النظام الاجتماعي وتقوّه الفطرة السليمة.

قال تعالى: ﴿ومن النَّاسِ من يجادلُ في اللهِ بغيرِ علمٍ ولا هدىٍ ولا كتابٍ مُنيرٍ \* ثاني عطفه ليضلَّ عن سبيلِ اللهِ له في الدنيا خزيٌّ ونُدْبَةٌ يومَ القيامةِ عذابِ الحريقِ﴾ (الحج: الآيات: ٨-٩).

الكناية في قوله تعالى: ﴿ثاني عطفه﴾، وهي كناية عن الإعراض كأنَّ المعرض يكسر أحد جانبيه على الآخر، والثني الكسر، والعطف بكسر العين الجانب<sup>١</sup>.

والجملة كناية عن التكبر والخيلاء، وهي وصف للمعرض عن الحقِّ اللَّاوي عنقه كُفراً، والتكبر والخيلاء من الصفات الاجتماعية الذميمة التي نهى عنها الله تعالى، والوصف بالكناية في الآية الكريمة لتفجير المؤمنين منها، فلا يوجد سبب عقلي أو تكويني أو تشريعي يسمح بأن يتميّز إنسان على آخر، إنما الناس سواسية، ولا يحقُّ لفرد من أفراد المجتمع أن يرى نفسه أفضل من غيره، فعلى أيِّ مقياس رأى الآخرين أقلَّ منه شأنًا، ليمسح لنفسه أن يتكبر أو أن يمسي الخيلاء كُفراً وبطراً، وهذه الآية بكنائتها البليغة تصف بدقة خللاً اجتماعياً نابغاً من ثقافة جاهلية حاربها الإسلام ووقف ضدها، فالمتكبر لا يمكن أن يرضخ لقانون السماء وقانون الفطرة السليمة لحياة المجتمعات، فكشفت الكناية عن هذه الصفة الذميمة التي تبعد الإنسان عن حقيقته ويتوهم أنه أهم من غيره وأعلى شأنًا.

في الأمثلة القرآنية السابقة، اتضحت الدلالة الاجتماعية للكناية، وكان التعبير بها أبلغ وأفصح ممَّا لو كان الكلام على الحقيقة، والسنن الاجتماعية هي سنن ثقافية يُحيل عليها السياق الاجتماعي، سواء أكانت هذه السنن ممدوحة أم مذمومة، وبذا تكون الكناية علامة ثقافية اجتماعية وأسلوب بلاغي مؤثّر في حثِّ المتلقّي وفي إرشاده نحو التزام السلوك الاجتماعي الأمثل.

#### دلالة ترك ما يُستقبح ذكره

من أهم شؤون الثقافة مراعاة الذوق العام سواء بالفعل أم بالقول، وفي كلِّ لغة هناك ألفاظ مستقبة لأنها تخدم الحياء العام، فدلالاتها تدلّ على أفعال خاصة من المعيب التصريح بها، مثل الجماع والتغوّط وغير ذلك، ففي (( الكنايات عما يستهجن ذكره، ويستقبح ذكره، أو يستحيا من تسميته، أو يتطيّر منه، أو يستترفع ويصان عنه، بألفاظ مقبولة تؤدّي المعنى، وتفصح عن المغزى))<sup>٢</sup>، وترك التصريح بهذه الألفاظ نسق ثقافي يشير إلى تطوّر استعمال اللغة من قبل المتحدثين بها، فاللغة فعل تواصلية تعكس ثقافة الشعوب، وأسلوب الكناية يحمل دلالات ثقافية حول كيفية استعمال اللغة في التواصل وتجنّب ذكر الأفعال المستقبة بألفاظها الدالة عليها والتكنية عنها بألفاظ مهذّبة، وهذا السمو في التعبير والترفع عن ذكر المشين من القول كان سمةً من سمات التعبير القرآني، مما أصّل لهذه الثقافة اللغوية لتجنّب الحرج وحفاظاً على ذوق المتلقّي وعلى مثالية اللغة وجمالية التواصل.

١ - ينظر: تفسير الميزان: ١٤ / ٣٤٩.

٢ - النهاية في الكناية المعروف بـ الكناية والتعريض، أبو منصور إسماعيل الثعالبي، تحقيق: فرج الحوار، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس: ١٠.



قال تعالى: ﴿هو الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ لِيْنِ أَتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٨٩)

((لأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشأها، فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى، والتغشي: كناية عن الجماع))<sup>١</sup>، فاختار الله تعالى الفعل (تغشأها) ليعبر به عن الجماع، وقد وقع موقعاً لطيفاً في السمع فضلاً عن أدائه عن المعنى المطلوب والمبالغة فيه، ((فصيغت هذه الكناية بالفعل الدال على التكلف لإفادة قوة التمكن من ذلك، لأن التكلف يقتضي الرغبة))<sup>٢</sup>.

نلاحظ أن الاستعمال القرآني للكناية في الآية الكريمة كان لدفع الحرج عن ذكر ما يستقبح ذكره، وهو لفظ (الجماع)، وهذا الفعل الكلامي يؤسس لفعل ثقافي من أجل التهذب والتأدب في الكلام، ويكشف عن سلوك ثقافي في المحاورات ومراعاة حساسية المتلقي ليكون وقع الكلام مناسباً لفعل البيئة التي تتحدر من ذكر الألفاظ المستقبحه مباشرة.

قال تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾ (المائدة: ٦).

في الآية الكريمة كنيتان، وكلاهما لتجنب ذكر ما يستقبح ذكره، الأولى قوله تعالى: ﴿أو جاء أحدٌ منكم من الغائط﴾، ف ((الغائط كناية عن النجس، وإنما هو في الأصل اسم للمكان المنخفض من الأرض، وكانوا إذا أرادوا قضاء حاجتهم أبعدوا عن العيون إلى منخفض من الأرض))<sup>٣</sup>، والكناية الثانية في قوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾، هي ((كناية عما يستقبح ذكره، أي الوقاع والجماع، بلا فرق بين خروج المني وعدمه، فإن الموجب هو الدخول))<sup>٤</sup>.

واستعمال الخطاب القرآني للكنائتين حتى لا يصرح بما يستقبح ذكره يشير إلى تطور استعمال اللغة بوصفها عاكسة للأفعال وحاملة للثقافة السائدة للمجموعة اللغوية، وهو إشارة أيضاً للفعل الحضاري المرتبط بالثقافة عموماً، فتجنب ذكر لفظة (النجس) أو (البراز) والذهاب إلى استعمال لفظة تدل على مكان الحدث لتصبح مع مرور الزمن فعلاً دالاً على هذا الحدث يؤكد على التطور اللغوي المرتبط بأنماط الثقافة السائدة في المجتمع وأنها تتجنب الكلمات التي تثير المتلقي وتخدش سمعه حفاظاً على الذوق اللغوي وحساسية المتلقي الذي يستهجن سماع هذه الكلمات.

وأيضاً استعمال لفظة (اللمس) كناية عن الجماع يشير إلى هذه المعاني، ولا يخفى الفرق بين اللفظتين من حيث وقعهما في نفس المتلقي، وهذا الفعل الثقافي مرتبط بسياق ثقافي عام وسائد

في البيئة التي أنتجته، وهو يوضح السلوك الثقافي لأفراد هذه المجموعة التي تستهجن الألفاظ المباشرة والتكنية عنها بألفاظ أبلغ وأجمل، وهو دليل على أن اللغة تمتاز بالحياة والتطور بحسب ما يملك المتكلمون بها من قدرات عقلية وثقافية تجعلها في مستوى عالٍ من الرقي والتحضّر.

قال تعالى: ﴿أحلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ (البقرة: ١٨٧).

<sup>١</sup> - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م: ٢/ ١٧٥.

<sup>٢</sup> - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، دار الجماهير للنشر والتوزيع، (د.ت): ٩/ ٢١١.

<sup>٣</sup> - البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٠٠.

<sup>٤</sup> - مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، انتشارات دار التفسير- إيران، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ٢٣/١١.



في الآية الكريمة ثلاث كنايات، وكلها دلّت عمّا يستقبح ذكره، وهو الجماع بين الرجل وزوجته، والآية المباركة في بيان حكم وطئ الزوجة في ليلة الصيام والإباحة في ذلك.

فقوله تعالى: ﴿أحلّ لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نساءكم﴾، والرّفث: أي الكلام المستقبح ذكره من الجماع ودواعيه، وقد كَتى به عن الجماع للتلازم بينهما، كما هو متعارف عليه في الاستعمال القرآني للألفاظ الكنائية عمّا يستقبح ذكره من الوطي، والجماع، والمباشرة، والمسّ، واللمس، والدخول، والفرج، والغائط، ونحو ذلك<sup>١</sup>.

وقال تعالى: ﴿هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنّ﴾، واللباس ما يستر به، وحيث إن كل واحد من الزوجين يستر الآخر من الوقوع في الحرام، سمّي كل واحد منهما لباساً، وفي هذه الجملة من اللطف والحسن ما لا يخفى، كما أن فيها من الترغيب إلى حسن المعاشرة والملاطفة والاعتناء بالحياة الزوجية، كما يعتني الإنسان بلباسه وثيابه، فيصحّ التكنية عن الزوجة بلباس الزوج أو بالعكس<sup>٢</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فالألآن باشرؤهنّ﴾، ((والمباشرة إيصال البشرة إلى البشرة، كَتى بها عن الوقاع، أو وقوع التلاصق بين البشريتين فيه، ولعلّ الإتيان بها في المقام للدلالة على جواز استمتاع الزوج من زوجته بكلّ جزءٍ من بدنها))<sup>٣</sup>.

نلاحظ أن الأسلوب القرآني يعمد للتعبير عمّا يستقبح ذكره بألفاظ أخرى مناسبة للمعنى وتؤدّي الدلالة المطلوبة من الآية الكريمة، وسعى القرآن في اعتماد هذا الأسلوب أمّا لإشاعة التأدّب والتّهذيب في الكلام ليكون ثقافة عامة ومتداولة في الحوار في المجتمع الإسلامي، أو أن العرب أنفسهم كانوا قبل نزول القرآن يتحفّظون من ذكر الألفاظ المستقبحة باسمها والتكنية عنها حتى يسمو الكلام ويرتفع عن الألفاظ التي تخلّ ببلاغته وفصاحته، والقرآن الكريم أقرّ هذا الأسلوب في الاستعمال والترفّع عن هذه الألفاظ التي تخدش الحياء العام، والعرب الأوائل خاصة في شعرهم كانوا ملتفتين لهذا الأسلوب، لذا حفلت أشعارهم بكنايات غاية في اللطف والفصاحة تعبّر عن ألفاظ مستقبحة لم يصرّحوا بها<sup>٤</sup>.

لذا فالقرآن الكريم أقرّ ثقافة لغوية كانت موجودة في التراث الأدبي العربي، ووسّع منها في الاستعمال، حفاظاً على صفاء النفس لأنها تنسجم مع الكلام الفصيح البليغ البعيد عن التهنك والمجاهرة بالألفاظ النابية، وهذا يدلّ على ارتقاء الثقافة الإسلامية وارتفاعها عن كل فعلٍ وقولٍ جارحٍ للسمع أو خلاف الفطرة السليمة يبعد الإنسان عن صفات الجمال.

### الدلالة الجمالية

لا يمكن الفصل بين الثقافة واللغة، فاللغة هي المعبر الأساس عن ثقافة الشعوب وعاداتها وتقاليدها، وبذلك تعدّ الإطار الذي يتضمّن الثقافة، ومن خلالها تصدّر الأفكار والتاريخ والفلسفة وكل ما له شأن في إنتاج البنية الفكرية والحياتية للمجتمعات، لذا اهتمّت المجتمعات باللغة، فهي المظهر الأول للثقافة، ومن مظاهر الاهتمام هذا اختيار أبلغ الأساليب وأفصحها وأجملها للتعبير عن قيمها.

<sup>١</sup> - ينظر: مواهب الرحمن: ٣/ ٨٩-٩٠.

<sup>٢</sup> - ينظر: مواهب الرحمن: ٣/ ٩٠-٩١.

<sup>٣</sup> - مواهب الرحمن: ٣/ ٩٢-٩٣.

<sup>٤</sup> - ينظر: الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، محمد الحسن علي الأمين أحمد، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية اللغة العربية/ جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ١٦١ - ١٨١.

والكناية أسلوب غني معرفياً وجمالياً يُقصد إليه أحياناً في القرآن الكريم إلى ما هو أجمل في التعبير ليكون تأثيره على المتلقي أكبر، والنزوع نحو الجمال في التعبير مرتبط بالثقافة، فالمجتمعات تترك أهمية أن يكون التعبير عن أدبها وفلسفتها وعقائدها في غابة الجمال ومدى تأثير ذلك على مستقبل خطابها.

وسعى القرآن الكريم ليكون أسلوبه مثالياً وفي غاية الفصاحة والبلاغة، ليكون تأثيره أشد على مستقبله، والتعبير الجمالي يعكس مدى الثقافة التي وصل إليها المجتمع، إذن فملاحم الجمال في الأساليب ومنها الكناية هي سمات ثقافية تعكس التطور الحضاري والسمو اللغوي.

قال تعالى: ﴿انزل من السماء ماءً فسألت أوديةً بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يُوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد: ١٧).

هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فكثى بالماء عن العلم، وبالأودية عن القلوب، وبالزبد عن الضلال، فالماء ينزل من السماء فتسيل به الأودية، كلٌ بقدرها، وبطبيعة جريه يلم في طريقه غثاء، فيطفو على سطحه الزبد، وهي الشكوك الحاصلة من تضارب الآراء وحجاج الخصوم، فيحجب الماء، أي: الحقيقة، وقد يكون هذا الزبد رابٍ منتفخ في شكله وظاهر صورته، لكنّه في حقيقته غثاء، والماء من تحته سارب ساكن وهادئ، لكنّه الماء الحامل للخير والحياة، وسرعان ما تتصع حقيقته، وينفشع الزبد، أي: الأوهام، وذلك مثل الحق والباطل، فما أن ينجلي غبار الباطل حتى تسطع شمس الحق<sup>١</sup>.

جمال الكناية في الآية الكريمة المنسجمة مع التمثيل الذي ضربه الله تعالى للتمييز بين الحق والباطل لا يخفى، وتأويل الماء بالعلم، والأودية بالقلوب، والزبد بالضلال من أجمل الكنايات التي جسدت المادة بما يقابلها من المعاني المجردة، ليتحقق من خلالها الإبلاغ المهم بأن الباطل مهما استبد فإنه إلى زوال ولا فائدة منه، وإن الحق هو الباقي في النهاية وترجو منه الناس الفائدة والمعرفة والهداية.

والكناية في الآية الكريمة تؤسس لفعل رمزي حضاري متصل بثقافة المجتمع الإسلامي، بسبب كثرة الباطل وهيمنته في بعض الأحيان مما يدعو الناس إلى الوهن والضعف في مواجهته وأحياناً التصديق بدعواه، لكن الآية الكريمة تحث الإنسان ألا يندعج بالظاهر وعليه أن ينظر لبواطن الأمور وأعماقها، فهنا تستقر الحقيقة دائماً، أما الباطل فإنه سيكون عبارة عن غثاء أو فقاعات ظاهرة على السطح لا فائدة يرجى منه للناس، فجمال الكناية ودقة تصويرها أثبتت حقيقة من حقائق الصراع بين الحق والباطل.

قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ (آل عمران: ٦٤).

الكلمة في الآية المباركة كناية عن الاجتماع والاتحاد في العمل على وفق مدلول الكلمة ومعناها والإذعان بها، ونظير ذلك شايح في الألسنة، يقال: اتفقت كلمة القوم على كذا، أي: اتحدوا واجتمعوا على أمر، وفي الآية الشريفة روعة الأسلوب، وتضمنت من النكات البلاغية ولطائف العناية ما لا يخفى<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> - ينظر : الكشف: ٢/ ٤٩٣، وينظر: تلخيص التمهيد، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط٤،

١٤٢٢هـ.ق: ٢/ ٣٧٩.

<sup>٢</sup> - ينظر: مواهب الرحمن: ٦/ ٣٣-٣٥.

فجمال الكناية في المقام تحمل نسقاً لغوياً ثقافياً، فالدعوة موجّهة لأهل الكتاب، وهي دعوة إلى الوحدة بحسب المشتركات بين الإسلام وأهل الكتاب، والكلمة هي (لا إله إلا الله)، وهي كلمة التوحيد، فالديانات جميعها توخّذ الله تعالى، ومن هذا المبدأ الأساس لكلّ الديانات كانت الدعوة إلى الاتحاد، بأسلوب غاية بالبلاغة والفصاحة، ممّا يظهر اعتناء الخطاب القرآني بجمالية القول من أجل أن يكون للدعوة التأثير الواضح كي تحقّق الغاية المرجوة منها.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن: ١٩).

فما أبلغ الكناية في الآية الكريمة وما أجملها رغم إفادتها بالمبالغة، ف (اللبد ههنا كناية عن الجماعات المتكاثرة التي تظاهرت من الكفار على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أي اجتمعوا عليه متآلبين، وركبوه مترادفين، فكانوا كلب الشجر، وهي طرائقه وقطعه التي يركب بعضها بعضاً، ووحدته لبدة، ومنه قيل: لبدة الأسد، وهي الشعر المترابك على مناكبه، وذلك أبلغ ما شبّهت به الجموع المتعاطلة، والأحزاب المتآلفة))<sup>١</sup>، فالكناية ب (لبدا) أفادت الإيجاز الشديد، فبلفظة واحدة اختصر الكثير من الألفاظ وتدلّ على جميعها، أي كاد أصحابه أن يركبونه تراحمًا عليه، وتدانياً إليه، واحتذاءً لمثاله، واستماعاً لمقاله<sup>٢</sup>.

وهذا الوصف والإيجاز بالكناية، أو بمختلف أساليب البلاغة الأخرى، فضلاً عن جماليته الفريدة يكاد يكون سمة ثقافية بارزة في الاستعمال القرآني وأيضاً في الشعر العربي، فالعرب تميل إلى الاقتصاد بالألفاظ والتعبير غير المباشر عن مقاصدها، واتخذ القرآن الكريم منحىً فريداً في التعبير وفاق في أسلوبه وبلاغته العرب أجمع، فالنزوع نحو التعبير الجمالي ثقافة راکزة في مخيلة العربي، وسمة قرآنية كانت مثلاً لأنسجام النظم وتناسقه وتلاحمه.

### الدلالة الدينية

خوِّطب العرب بلغتهم، ونزل الوحي بالقرآن عربياً، والمختصون بدراسة الأسلوب القرآني يعلمون أنه لم يخرج عن مدار لغتهم وأساليبهم، لتكون الحجة واضحة عليهم، وتعاليم الإسلام بيّنة ميسورة الفهم لهم. وكان التعبير بالكناية لأغراض شتى قصد لها القرآن الكريم، والدلالة الدينية هي الدلالة الأهم لتغيير البنية الثقافية للمجتمع العربي، ليكون مجتمعاً موحداً منصاعاً لأوامر الله تعالى ونواهيه، وهذا واضح في الخطاب القرآني لكلّ ذي تدبّر وبصيرة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كان يأكلانِ الطَّعَامَ انظر كيف نُبِّئُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ (المائدة: ٧٥).

ذكر البلاغيون أن الكناية في الآية الكريمة ﴿ كان يأكلانِ الطَّعَامَ ﴾، هي كناية عن الغائط والبول، وهو ممّا يُستنبح ذكره، لأنها بسبب من الأكل، والعرب تسمي الشيء باسم إذا كان منه بسبب، فتسمي النبت الندى لأنه به يكون، وتسمي الشحم الندى لأنه من الكلاً<sup>٣</sup>.

ولو رجعنا إلى السياق القرآني الذي وردت فيه الآية الكريمة لعلمنا أن الله تعالى أراد أن يثبت حقيقة أن عيسى وأمه من البشر، وأن ينفي عنهما الألوهية التي ادّعاها النَّصَّاري، فوصفهما بأنهما يأكلان الطعام كناية عن الغائط، ولا يفرقان

١ - تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٣٥٠.

٢ - المصدر نفسه: ٣٥١.

٣ - ينظر: المنتخب من كُنَايَاتِ الْأَدْبَاءِ وإشارات البلغاء، أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي، مكتبة دار البيان، بغداد، دار صعب، بيروت: ٦.

عن البشر سوى أن عيسى رسول وأمه صديقة، ومن آمن بغير ذلك فهو كافر، كما في قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾ (المائدة: ١٧).

فالآية الكريمة تعالج أهم شؤون الدين وهو التوحيد، وإنما وصف الله تعالى عيسى وأمه بأكل الطعام حتى يُثبت حاجتهما إليه، لأنه من الرزق ويحتاج إلى السعي، والمحتاج لا يمكن أن يكون إلهاً، فهو في حاجة إلى من يملكه. فالخطاب الديني ودلالته واضحة في الآية الكريمة، والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشركاء لأنهم محتاجون بالأصل، ولا يمكن أن يكون المحتاج رباً، ولنتمس من هذا أن القرآن الكريم يريد إشاعة ثقافة الإسلام من خلال استحضار قصص الأنبياء السابقين ليكون ذلك أثبت لنفوسهم.

قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى\* له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ (طه: ٥-٦). الاستواء على العرش كناية عن الاحتواء على الملك والأخذ بزمام تدبير الأمور، وكناية عن تحكّم الله تعالى بالكون وظهور سلطته عليه واستقرار الملك إليه، ورجوع تدبير الأمور وإصلاح شؤونها إليه، فاستواؤه على العرش يستلزم إحاطة ملكه بكل شيء وانسباط تدبيره على الأشياء سماويها وأرضيها جليلها ودقيقها خطيرها ويسيرها، فهو الرب المالك لكل شيء المتوحد بالربوبية ولا رب سواه<sup>١</sup>.

وفي الكناية إشارة لعقيدة التوحيد ومعناها، فهي أهم الأصول في الإسلام، فمن خلال لفظ (الاستواء) كشف الله تعالى عن هيمنته وسلطته المطلقة على الموجودات جميعها، وعن تحكّمه فيها وتدبيره لها، وهي دلالة ثقافية دينية تنفي عن الله الشرك وعدم القدرة، لأن المجتمع الذي نزل فيه القرآن كان مجتمعاً مشركاً بالله، فأراد الله تعالى أن يزيل الأوهام من عقولهم ويثبت قلوبهم على الدين الصحيح الذي يرتضيه لهم.

قال تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتوّدون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين\* ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ (الأنفال: ٧-٨).

الجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال في بداية الدعوة الإسلامية، وقد حثّ الله تعالى عليه كثيراً في آيات صريحة من أجل الدفاع عن الإسلام، وحتى لا يتحقّق هدف المشركين الذين كانوا يسعون من أجل استئصال دعوة الرسول (ص)، لكن الله سبحانه أبى إلا أن يتمّ نوره ويبطل سعي الكافرين، ومضمون الآيتين الكريمتين يؤكّد على هذه الدلالة الدينية للجهاد في سبيله من أجل القضاء على المشركين وإفنائهم.

وكنى الله تعالى بـ (ذات الشوكة) عن طائفة النفيير التي تمتاز بالقوة والشدة مقابل ضعف المسلمين وهوانهم، (ويقطع دابر الكافرين)، كناية عن إفنائهم واستئصالهم بحيث لا يبقى منهم أحد، ولا يبقى من آثارهم المتفرّعة شيء<sup>٢</sup>. فالمسلمون يريدون أن يتجنبوا طائفة النفيير لشدة بأسها ويرغبون بمهاجمة قافلة العير التي فيها تجارة قريش، لكن الله تعالى أمرهم على خلاف رغبتهم ليقطع دابر الكافرين، فدلالة الكنايتين الدينية بتوجيه المسلمين للجهاد ومقاتلة المشركين وقطع دابرهم كان مهماً في تلك المرحلة الحرجة من الدعوة الإسلامية، حتى يستشعر المشركون قوتهم فيهابونهم فيدخلهم الرعب منهم.

فالدفاع من أجل الإسلام ثقافة دينية وتشريع إسلامي مهم للحفاظ على العقيدة وحفظ المسلمين من الأعداء.

١ - ينظر: تفسير الميزان: ١٤-١٢١.

٢ - ينظر تفسير الميزان: ١٩/٩.

نلاحظ أن الكنايات في القرآن الكريم كان لها بعد ديني ثقافي في توجيه المسلمين وتثبيت عقائدهم وحثهم على التمسك بجوهر الإسلام حتى أصبح البعد الديني موجهاً ثقافياً لنفوس المسلمين جميعاً، وكلما مرّ زمن ازداد المسلمون ثباتاً وقوة فأصبحت العقيدة جزءاً من ثقافتهم العامة والخاصة.

#### الخاتمة

وفي نهاية هذه الرحلة المعرفية الشيقة لبيان الدلالات الثقافية لأسلوب الكناية في القرآن الكريم، لا بدّ من إيجاز أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

- إن الكناية من الأساليب البلاغية التي وضعها العلماء مع مباحث علم البيان، لأنها تُعبّر عن المعاني بأسلوب غير مباشر، ويمكن رصدها في الأساليب من خلال معرفة ملزومها، وعادة ما يكون هذا الملزوم مرتبط بالمقام وسياق الحال.
- استعمل القرآن الكريم أسلوب الكناية للإبلاغ عن مقاصده المختلفة، وكان ذلك بما يتناسب مع السياق والقارئ الحالية، وكانت أغراضها مختلفة مما يدلّ على سعة استعمال هذا الأسلوب وأهميته.
- إن اللغة محمول ثقافي، يمكن من خلالها بيان أصناف الثقافة لمستعملها، وأسلوب الكناية أبرز الأساليب التي يمكن في ضوء تحليلها استخراج الدلالات الثقافية من عادات وتقاليد وسلوك اجتماعي أو ديني.
- من أهم سمات أسلوب الكناية في القرآن الكريم، أنه استعمل ليعبّر به عمّا يستقبح ذكره، وهي طريقة حضارية ثقافية في التخاطب.
- إن جمالية الأسلوب وبلاغته من سمات المجتمعات المتحضرة، وهو يدلّ على ارتفاع الذوق والاهتمام بمتلقي الخطاب.
- تختلف الكنايات في القرآن الكريم عن غيرها من الكنايات التي وردت في تراثنا الأدبي، فأغلب الكنايات التي وردت إلينا لن تعدّ صالحة للاستعمال بسبب تغيّر الزمان وتغيّر عادات الناس وتقاليدهم، أما الكنايات في القرآن الكريم فهي صالحة لكلّ زمان ومكان لأنها مرتبطة بمنظومة إسلامية وثقافية صالحة لكلّ زمان ومكان.

#### المصادر والمراجع

##### القرآن الكريم

- ❖ الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ❖ اجتماعية الكناية بين التخييل والتأويل، د. مسعود بودوخة، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني حول اللسانيات والرواية، ٢٠١٢م.
- ❖ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ❖ التحرير والتوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، دار الجماهير للنشر والتوزيع، (د.ت).
- ❖ تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ❖ تلخيص التمهيد، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط٤، ١٤٢٢هـ. ق.
- ❖ حوار الثقافة والقيم، عبد الله إبراهيم، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد/ ٥، العدد السابع عشر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- ❖ الدراسات الثقافية، زيودين ساردار وبورين فان لون، ترجمة: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، علق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ٣، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- ❖ فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأ المعارف الاسكندرية، مصر، ط١، ١٩٨٨.
- ❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- ❖ الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، محمد الحسن علي الأمين أحمد، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية اللغة العربية/ جامعة أم القرى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
- ❖ لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار لعربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ❖ مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ المنتخب من كفايات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني التقفي، مكتبة دار البيان، بغداد، دار صعب، بيروت.
- ❖ مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، انتشارات دار التفسير- ايران، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ❖ موسوعة النظرية الثقافية... المفاهيم والمصطلحات الأساسية، أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ترجمة: هناء الجواهري، مراجعة وتقديم وتعليق: محمد الجواهري، ط١، ٢٠٠٩م.
- ❖ الميزان في تفسير القرآن: الطيباني ، السيد محمد حسين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- ❖ النهاية في الكناية المعروف بـ الكناية والتعريض، أبو منصور إسماعيل الثعالبي، تحقيق: فرج الحوار، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس.

## Sources and references

### The Holy Quran

- 1- Mastery in the Sciences of the Qur'an, Jalal al-Din al-Suyuti, investigation: Muhammad Salem Hashem, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2, 1428 AH - 2007 AD.
- 2- Social metonymy between imagination and interpretation, d. Masoud Boudokha, Al-Athar Magazine, special issue: Works of the National Forum on Linguistics and Novel, 2012.
- 3- The Proof in the Sciences of the Qur'an, Badr Al-Din Muhammad Bin Bahader Bin Abdullah Al-Zarkashi, presented and commented by: Mustafa Abdel Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 1, 1428 AH - 2007 AD.
- 4- Liberation and Enlightenment, Muhammad Al-Taher Ben Achour, Tunisian House for Publishing, Dar Al-Jamahir for Publishing and Distribution, (Dr. T.).
- 5- Summarizing the Statement in Metaphors of the Qur'an, Sharif Al-Radi, achieved by: Muhammad Abdul-Ghani Hassan, Dar Al-Adwaa, Beirut, 2, 1406 AH - 1986 AD.

- 6- Summary of the Introduction, Muhammad Hadi Maarfa, Islamic Publishing Corporation, Qom Holy, 4th edition, 1422 AH. s.
- 7- Culture and Values Dialogue, Abdullah Ibrahim, Our Cultures for Studies and Research, Volume / 5, Issue Seventeen, 1429 AH - 2008 AD.
- 8- Cultural Studies, Zyodin Sardar and Boren Van Loon, translated by: Wafaa Abdel Qader, The Supreme Council of Culture, Cairo, 2003 AD.
- 9- Evidence of Miracles in the Science of Meanings, Abd al-Qaher al-Jurjani, its origin was corrected by Sheikh Muhammad Abdo and Sheikh Muhammad Mahmoud al-Taqazi al-Shanqiti, commented on by Sayyid Muhammad Rashid Rida, Dar al-Maarifa, Beirut - Lebanon, 3rd edition, 1422 AH - 2001 AD.
- 10-The Philosophy of Rhetoric between Technology and Development, Origin of Knowledge, Alexandria, Egypt, 1, 1988.
- 11-The Scout for the Facts of the Download and the Eyes of Gossip in the Faces of Interpretation, Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari Al-Khwarizmi, investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut - Lebanon, 2, 1421 AH - 2001 AD.
- 12- The metonymy, its methods and locations in pre-Islamic poetry, Muhammad Al-Hasan Ali Al-Amin Ahmed, a master's thesis submitted to the College of Arabic Language / Umm Al-Qura University, 1404 AH - 1984 AD.
- 13- Linguistics of Discourse and Culture Forms, Philosophy of Meaning between Discourse System and Culture Conditions, d. Abdel-Fattah Ahmed Youssef, Dar for Arabic Science Publishers, Publications of Difference, Algeria, 1, 1431 AH - 2010 AD.
- 14- Miftah Al-Uloom, Abu Yaqoub Yusuf bin Muhammad bin Ali Al-Sakaki, investigation: Dr. Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1, 1420 AH - 2000 AD.
- 15- The Selected from the Metonyms of Writers and Signs of Eloquents, Abu Al-Abbas Ahmed bin Muhammad Al-Jurjani Al-Thaqafi, Dar Al-Bayan Library, Baghdad, Dar Saab, Beirut.
- 16- Talents of the Most Merciful in the Interpretation of the Qur'an: Sayyid Abd al-Ala al-Mousawi al-Sabzwari, publications of Dar al-Tafsir - Iran, 2, 1428 AH - 2007 AD.
- 17- Encyclopedia of Cultural Theory... Basic Concepts and Terminology, Andrew Edgar and Peter Sedgwick, translated by: Hana Al-Jawahiri, review, submission and comment: Muhammad Al-Jawahiri, 1, 2009 AD.
- 18- Al-Mizan in the Interpretation of the Qur'an: Al-Tabtabai, Sayyid Muhammad Hussein, Al-Alamy Foundation for Publications, Beirut, 1393 AH-1973AD.
- 19- The End in the Metonymy Known as Metonymy and Exposure, Abu Mansour Ismail Al-Thaalbi, Investigation: Faraj Al-Hawar, Dar Al-Maaref for Printing and Publishing, Tunisia.